شذرات

من أعلام

الإمام الصادق عليه السلام

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

شذرات

من أخلاق

الإمام الصادق عليه السلام

مقدمة:

الأخلاق إحدى الجهات الإنسانية التي عني بها دين الإسلام، واهتم بها اهتماماً كبيراً، والذي يستقصي تعاليم الكتاب وإرشادات السنة يعلم مقدار هذا الاهتمام، ومبلغ هذه العناية، وهذه الظاهرة في الدين الإسلامي إحدى مميزاته عن سائر الأديان، وإحدى مؤهلاته للخلود.

ولقد تجسدت هذه الأخلاق عملاً في حياة الأنبياء والأوصياء والصالحين، ومن هؤلاء الإمام الصادق عليه السلام حيث تزخر حياته عليه السلام بالمواقف الأخلاقية التي تشير إلى الشخصية الإسلامية المؤمنة المتكاملة والتي منها الكرم والصبر والتواضع والشجاعة...الخ.

فالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فرع كبير مشرق من تلك الدوحة النبوية الكريمة الباسقة... غرف من بحور مدينة علم جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآبائه الأئمة الأطهار عليهم السلام، وزانه الله تعالى بعظيم الخُلُق وأنبل السجايا والصفات، فكان في زمانه قبلة أنظار أهل العلم والدارسين، وقدوة المتقين السالكين، وما زالت آثاره الخالدة ومآثره الطيبة تشع نوراً وهدى على مدى الأجيال.

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام مثلاً أعلى للأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة والمزايا الحميدة، فهو الصادق في القول والفعل،

والناطق بالحقّ، والعالم العامل بعلمه، والموجّه للأُمّة بدعوته، وما أجمع علماء الإسلام على اختلاف نزعاتهم وطوائفهم كما أجمعوا على فضله وعلمه.

ولقد وصفه المنصور الدوانيقي وهو خصمه الألدّ بقوله: إنّه ممّن اصطفاه الله، وكان من السابقين في الخيرات.

شهد الأنام بفضله حتّى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

ويقول عنه مالك بن أنس فقيه المدينة: والله ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد عليهما السلام زهداً وفضلاً وعبادةً وورعاً، وكنت أقصده فيكرمني ويقبل عليّ[1].

ويقول عنه أيضا: كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فيقدم لي مخدة، ويعرف لي قدرا ويقول: يا مالك إني أحبك، فكنت أُسرّ بذلك وأحمد الله عليه، قال: وكان عليه السلام رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء العُبّاد، وأكابر الزهّاد الذين يخشون الله عز وجل، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اخضرّ مرة، واصفرّ أخرى حتى ينكره من كان يعرفه، ولقد

(١) أمالي الصدوق ص ٥٤٢.

حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرَّ من راحلته فقلتُ: قل يا ابن رسول الله، ولابد لك من أن تقول، فقال: **يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك**[1].

ووصفه أبو حنيفة بأنّه: أعلم أهل زمانه، وما رأى أعلم منه، وإنّ هيبته تفوق هيبة المنصور صاحب الملك والصولجان.

ووصفه عمرو بن المقدام بقوله: ما نظرت إلى جعفر بن محمّد إلاّ وعلمت أنّه من سلالة النبيّين.

وقد ثبت عن الإمام زيد بن عليّ عليه السلام أنّه قال: إنّه -أي الصادق- حجّة الله، لا يضلّ من تبعه، ولا يهتدي من خالفه.

وحسبنا ونحن نضيء هذه الصفحات القليلة بقبس من جذوة عطائه الجمّ، أن نتعرّف على بعض سجاياه وأخلاقه، مما نقلته إلينا الكتب من روايات كثيرة تكشف عمّا أراد الإمام عليه السلام أن يؤدّب به أصحابه وأهل الإيمان، مقتصرين على نبذة يسيرة من الروايات المتضمنة للعديد من دروس الأخلاق العملية.

(١) أمالي الصدوق ص ١٦٩.

أخلاقه عليه السلام مع عبيده وخدمه:

كان رؤوفاً بهم، يراعي ضعفهم واستكانتهم، وكان يجازيهم بالإحسان إليهم والرفق بهم، وإن أساؤوا إليه، ففي يوم من الأيام بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاما له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره لما أبطأ، فوجده نائما، فجلس عند رأسه يروّحه حتى انتبه، فلما تنبه قال له أبو عبد الله عليه السلام: «**يا فلان والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار**»[1].

ويروى أن سفيان الثوري دخل على الإمام الصادق عليه السلام فرآه متغير اللون، فسأله عن ذلك؟ فقال: (**كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواريّ ممن تربي بعض ولدي قد صعدت في سلم والصبي معها، فلما بَصُرت بي ارتعدت وتحيّرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغيّر لوني لموت الصبي وإنما تغيّر لوني لِمَا أدخلتُ عليها من الرعب**)، وقال لها الإمام عليه السلام: «**أنتِ حرة لوجه الله لا بأس عليك**» مرتين[2].

ومن هذا الخبر يستوحي الإنسان عمق ذلك الحنان الذي كانت تجيش به نفس ذلك الإمام العظيم والرقّة التي كانت تعمر ذلك

(١) الكافي ج٢ ص١١٢ ح٧.
(٢) المناقب ج٣ ص٣٩٥.

القلب الكبير، والذي وسع الحياة بما تحمل من مشاعر إنسانية، ومهامّ قيادية.

أخلاقه عليه السلام مع الفقراء وصدقاته في السر:

الصدقة من أعظم القربات إلى الله وأحبّها إليه، وهي بذاتها عمل إنساني فاضل، ومشاركة عملية يمارسها الإنسان في تخفيف آلام الفقراء والمعوزين، ممّن لم تسعهم قدراتهم المعاشية فقصرت بهم خطى العمل عن أن تستوعب احتياجاتهم وضروراتهم الحياتية، وأفضل الصدقة ما كان معروفاً من غير سؤال، وسرّاً من غير إعلان، وهي التي كان يمارسها أهل البيت عليهم السلام لتكون خالصة لوجهه.

وعلى نهج أهل البيت عليهم السلام كان الإمام الصادق عليه السلام أرأف أهل زمانه بالفقراء والمساكين، مهما كان طريقهم ومعتقدهم حتى لو كان على غير طريقته عليه السلام.

ففي يوم من الأيام قال الإمام الصادق عليه السلام لمحمد ابنه: **(كم فضل معك من تلك النفقة؟ قال: أربعون ديناراً قال: اخرج وتصدق بها، قال: إنه لم يبق معي غيرها قال: تصدق بها، فان الله عز وجل يخلفها، أما علمت أن لكل شيء مفتاحا، ومفتاح الرزق الصدقة، فتصدق بها، ففعل، فما لبث أبو عبد الله عليه السلام إلا عشرة حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار، فقال: يا بني أعطينا لله أربعين ديناراً فأعطانا الله**

أربعة آلاف دينار)[1].

وأيضاً يروى: **(أن فقيرا سأل الصادق عليه السلام فقال لعبده: ما عندك؟ قال: أربعمائة درهم، قال: أعطه إياها، فأعطاه، فأخذها وولّى شاكرا فقال لعبده: أرجعه، فقال: يا سيدي سألت فأعطيت فماذا بعد العطاء؟ فقال له: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الصدقة ما أبقت غنى، وإنا لم نغنك، فخذ هذا الخاتم فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتجت فبعه بهذه القيمة)**[2].

أما الصدقات في السر فإنها من أفضل الأعمال وأحبها لله لأنها من الأعمال الخالصة التي لا يشوبها أي غرض من أغراض الدنيا، وقد ندب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أنها كانت منهجاً لهم، فكل واحد منهم عليهم السلام كان يعول جماعة من الفقراء وهم لا يعرفونه.

فيروي لنا **(الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ أن الإمام الصادق عليه السلام خَرَجَ فِي لَيْلَةٍ قَدْ رُشَّتْ -أي أمطرت- وهُوَ يُرِيدُ ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْه شَيْءٌ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ رُدَّ عَلَيْنَا، قَالَ: فَأَتَيْتُه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه قَالَ عليه السلام: مُعَلَّى؟ قُلْتُ: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ لِي: الْتَمِسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْه إِلَيَّ فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ كَثِيرٍ فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْه مَا وَجَدْتُ فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ -وهو وعاء من**

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٣٨ ح٤١.

(٢) بحار الانوار ج٤٧ ص٦١ ح١١٦.

جلد شاة يوضع فيه الدقيق ونحوه- أَعْجِزُ عَنْ حَمْلِه مِنْ خُبْزٍ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَحْمِلُه عَلَى رَأْسِي فَقَالَ لَا أَنَا أَوْلَى بِه مِنْكَ ولَكِنِ امْضِ مَعِي قَالَ فَأَتَيْنَا ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ والرَّغِيفَيْنِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ ؟ فَقَالَ عليه السلام: لَوْ عَرَفُوه لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالدُّقَّةِ -والدقة هي الملح-، إِنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً إِلَّا ولَه خَازِنٌ يَخْزُنُه إِلَّا الصَّدَقَةَ فَإِنَّ الرَّبَّ يَلِيهَا بِنَفْسِه وكَانَ أَبِي إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ وَضَعَه فِي يَدِ السَّائِلِ ثُمَّ ارْتَدَّه مِنْه فَقَبَّلَه وشَمَّه ثُمَّ رَدَّه فِي يَدِ السَّائِلِ، إِنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وتَمْحُو الذَّنْبَ الْعَظِيمَ وتُهَوِّنُ الْحِسَابَ، وصَدَقَةَ النَّهَارِ تُثْمِرُ الْمَالَ وتَزِيدُ فِي الْعُمُرِ.....)[1].

وأيضا ينقل لنا هشام بن سالم: (كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان أبا عبد الله)[2].

ومن صِلاته السرّية أيضاً أن أبا جعفر الخثعمي قال: (أعطاني أبو عبد الله عليه السلام خمسين دينارا في صرة، فقال لي: ادفعها إلى رجل

(١) الكافي ج ٤ ص ٨ ح ٣

(٢) الفروع من الكافي ج ٤ ص ٨ ح ١

من بني هاشم، ولا تعلمه أني أعطيتك شيئا، قال: فأتيته، فقال: من أين هذه؟ جزاه الله خيرا، فما يزال كل حين يبعث بها، فنكون مما نعيش فيه إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله)[1]، وفي هذا النقل ينبهنا الإمام عليه السلام على أمر مهم، وهو آفة الصدقة، وذلك بأن يطلب المتصدق بصدقته مدحه ونشر صنيعه بين الناس، فالإمام عليه السلام يريد أن يعلم الشيعة أن قيمة الصدقة بالإخفاء مهما أمكن وكلما خفيت أوجبت عظم الثواب عند الله تعالى، على أن الله تعالى سوف ينشر فضله بين الناس عاجلاً أو آجلاً.

هذه بعض الأمثلة الرائعة التي وردتنا عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال الإنساني، وحسبنا بها عظةً ودرساً وبياناً للرعاية الإنسانية التي أولاها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام للمحرومين من كرامة العيش، والمعذّبين في الأرض.

أخلاقه عليه السلام مع من أساء إليه:

كان الإمام الصادق عليه السلام على جانب كبير من سمو الأخلاق، فقد ملك القلوب، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت امتداداً لأخلاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه.

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص٦٧٧ ح١٤٣٣

ومن مكارم أخلاق الإمام وسمو ذاته أنه كان عليه السلام يجازي المسيئين بالإحسان، ويعفو عمن أساء إليه ويدعو له، فهو القائل: **(إنا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا)**[1].

لقد عانى الإمام الصادق عليه السلام الأشدّ من تجاوزات أرحامه من جهة، والسلطة الحاكمة من جهة أُخرى، ومن المناوئين له والحاقدين عليه من جهة ثالثة، ولكنّه كان يقابل الإساءة منهم بالحسنى، والعنف والشدّة منهم باللين، تمشّياً مع خلق القرآن وتعاليمه ﴿**إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ فَإِذا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم**﴾[2].

فمن الصور المشرقة لحلمه ما يروى **(أن رجلا من الحجاج توهّم أن هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتّش عنه فرأى الإمام الصادق عليه السلام يصلّي في الجامع النبوي فتعلّق به، ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت همياني..؟ فقال له الإمام بعطف ورفق: ما كان فيه؟..**

قال: ألف دينار، فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد هميانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له: شيء خرج من يدي فلا يعود إليّ، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جرم

(١) الخصال: ١١

(٢) سورة فصلت الآية: ٣٤.

هذا فعال أمثاله)[1]، إن شرف الإمام عليه السلام الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له.

وأيضا يروى عن حماد اللحام قال: **(أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إن فلانا - ابن عمك- ذكرك، فما ترك شيئا من الوقيعة والشتيمة إلا قاله فيك، فقال أبو عبد الله عليه السلام للجارية: إيتيني بوَضوء، فتوضأ ودخل، فقلت في نفسي يدعو عليه، فصلى ركعتين، فقال: يا رب هو حقي قد وهبته[له] وأنت أجود مني وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه، ثم رق فلم يزل يدعو فجعلت أتعجب)**[2].

وهكذا يتّخذ الإمام عليه السلام من حلمه رسالة ينفذ بها إلى أخطاء الآخرين وتجاوزاتهم، في عملية تصحيح رقيقة، تعكس الأُسلوب الإسلامي الهادئ في العمل الهادف من أجل عمل الآخرين على الانفتاح على روح الرسالة، والتمسّك بمُثلِها الأخلاقية وقيمها الإنسانية.

تواضعه عليه السلام:

من مظاهر شخصيته العظيمة نكرانه للذات وحبّه للتواضع وهو سيد المسلمين، وكان من تواضعه أنه كان يجلس على الحصير[3]،

(١) شرح إحقاق الحق ج ٢٨ ص ٤٨٠.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٣٨٠.

(٣) النجوم الزاهرة: ٥/ ١٧٦.

ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، وكان ينكر ويشجب المتكبرين حتّى قال ذات مرة لرجل من إحدى القبائل: (**من سيد هذه القبيلة؟ فبادر الرجل قائلا: أنا، فأنكر الإمام عليه السلام ذلك، وقال له: لو كنت سيدهم ما قلت: أنا..**)[1].

ومن مصاديق تواضعه ونكرانه للذات: (**نُقِل أنه كان رجل من أهل السواد يلزم جعفرا عليه السلام ففقده فسئل عنه فقال له رجل - يريد أن يستنقص به -: إنه نبطي فقال جعفر عليه السلام: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون، فاستحيا ذلك القائل**)[2].

ومن تواضعه ما رواه أبو بصير قال: (**دَخَلَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام الْحَمَّامَ فَقَالَ لَه صَاحِبُ الْحَمَّامِ أُخْلِيه لَكَ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَخَفُّ مِنْ ذَلِكَ**)[3].

وهذه الحادثة على بساطتها، لا ينبغي أن نمرّ بها من غير أن نفهم المغزى البعيد الذي يرمي إليه الإمام عليه السلام في سلوكه الإنساني منها، فقد دأب الكبار من ذوي المقامات العالية من الناس، على تجنّب الاختلاط بالعامة في مثل هذه الموارد ترفّعاً وكِبَراً، وشعوراً

(١) الطبقات الكبرى: ١/ ٣٢.
(٢) كشف الغمة ج٢، ص٣٧٠.
(٣) الكافي ج٦ ص٥٠٣ ح٣٧.

منه بالامتياز والطبقية، ولكنّ الإمام عليه السلام أراد أن يثبت للآخرين عملياً، أنّ رفعة الإنسان وامتيازه إنّما هي بقيَمه ومُثله، وبإنسانيّته الفاضلة التي ترتفع به إلى المستوى اللائق به.

أمّا فيما يرجع للحياة العادية وقضايا العِشرة، فإنّ على الإنسان أن لا يظلم الآخرين بسلوكه المتميّز، ليشعرهم بالتفاوت الطبقي الذي يمزّق الوحدة الاجتماعية، ويفتّت القاعدة الأساسية التي يقوم عليها بناؤها المتماسك، وهي التلاحم المتمثّل بالإيمان والمحبّة والمساواة.

تعامله عليه السلام مع العمّال:

يحرص الامام عليه السلام على حفظ حقوق العاملين والمسارعة لدفع اجورهم ليشعر العامل بحلاوة الرزق الحلال ويكون حافزا له على الاستمرار في طلب الحلال عن شعيب قال: (**تَكَارَيْنَا لأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَوْماً يَعْمَلُونَ فِي بُسْتَانٍ لَه وكَانَ أَجَلُهُمْ إِلَى الْعَصْرِ فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ لِمُعَتِّبٍ: أَعْطِهِمْ أُجُورَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُمْ**)[1].

الإمام عليه السلام وطلب المعيشة:

لقد مارس الإمام الصادق عليه السلام العمل المجهد من أجل العيش الكريم، رغم ما يتمتّع به من مركز علمي واجتماعي وقيادي، فعَنْ

(١) الكافي ج٥ ص ٢٨٩ ح٣.

أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: (رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام وبِيَدِه مِسْحَاةٌ وعَلَيْه إِزَارٌ غَلِيظٌ يَعْمَلُ فِي حَائِطٍ لَه والْعَرَقُ يَتَصَابُّ عَنْ ظَهْرِه فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَعْطِنِي أَكْفِكَ فَقَالَ لِي: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَتَأَذَّى الرَّجُلُ بِحَرِّ الشَّمْسِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ)[1].

وربّما يتصوّر البعض أن مركز الإمام عليه السلام يمنعه من ممارسته مثل هذا العمل فيعترض باستغراب، فعَنْ عَبْدِ الأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ قَالَ: (اسْتَقْبَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ حَالُكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وقَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وأَنْتَ تُجْهِدُ لِنَفْسِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الأَعْلَى خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لأَسْتَغْنِيَ عَنْ مِثْلِكَ)[2]، وبهذه الإجابة الدامغة حدّد الإمام عليه السلام قيمة العمل ومعطياته.

وجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام يدبّر أمر معاشه بحكمة وروية ويضع للتجارة نظاماً مالياً دقيقاً يضمن به سلامة ماله من الخسارة والتلف، والكسب الحلال، فقد حدّث ولده الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً: (إنّ رجلا أتى جعفراً صلوات الله عليه شَبِيهاً بِالْمُسْتَنْصِحِ لَه، فَقَالَ: لَه يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ كَيْفَ صِرْتَ اتَّخَذْتَ الأَمْوَالَ قِطَعاً مُتَفَرِّقَةً ولَوْ كَانَتْ فِي مَوْضِعٍ [وَاحِدٍ] كَانَتْ أَيْسَرَ لِمُؤُونَتِهَا وأَعْظَمَ لِمَنْفَعَتِهَا، فَقَالَ

(١) الكافي ج٥ ص٧٦ ح١٣.
(٢) الكافي ج٥ ص٧ ح٣.

أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: اتَّخَذْتُهَا مُتَفَرِّقَةً فَإِنْ أَصَابَ هَذَا الْمَالَ شَيْءٌ سَلِمَ هَذَا الْمَالُ والصُّرَّةُ تُجْمَعُ بِهَذَا كُلِّه)[1]، فعندما يكون المال مجتمعاً في موضع واحد يكون بمجموعه مهدّداً بالتلف بتعريضه لنائبة طبيعية طارئة، أو تجاوزٍ مشبوه، أمّا عندما يكون متفرّقاً فإنّ سلامة البعض تبقى مضمونة عندما يتعرّض البعض الآخر منه للنوائب أو التجاوزات، وهو أمرٌ لم يكن ليدرك الناصح حكمته فيما أشار به على الإمام عليه السلام.

ومن أروع ما وردنا عن الإمام الصادق عليه السلام في مجالات الكسب الحلال والعمل الصالح ما حدّث به أبو جعفر الفزاري، قال: (دَعَا أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام مَوْلًى لَه يُقَالُ لَه مُصَادِفٌ فَأَعْطَاه أَلْفَ دِينَارٍ وقَالَ لَه: تَجَهَّزْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى مِصْرَ فَإِنَّ عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا، قَالَ: فَتَجَهَّزَ بِمَتَاعٍ وخَرَجَ مَعَ التُّجَّارِ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مِصْرَ اسْتَقْبَلَتْهُمْ قَافِلَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مِصْرَ فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْمَتَاعِ الَّذِي مَعَهُمْ مَا حَالُه فِي الْمَدِينَةِ، وكَانَ مَتَاعَ الْعَامَّةِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّه لَيْسَ بِمِصْرَ مِنْه شَيْءٌ فَتَحَالَفُوا وتَعَاقَدُوا عَلَى أَنْ لَا يَنْقُصُوا مَتَاعَهُمْ مِنْ رِبْحِ الدِّينَارِ دِينَاراً فَلَمَّا قَبَضُوا أَمْوَالَهُمْ وانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ مُصَادِفٌ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام ومَعَه كِيسَانِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ أَلْفُ دِينَارٍ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا رَأْسُ الْمَالِ وهَذَا الآخَرُ رِبْحٌ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرِّبْحَ كَثِيرٌ ولَكِنْ

(١) الكافي ج٥ ص٩١ ح١.

مَا صَنَعْتَه فِي الْمَتَاعِ؟ فَحَدَّثَه كَيْفَ صَنَعُوا وكَيْفَ تَحَالَفُوا، فَقَالَ عليه السلام: سُبْحَانَ الله تَحْلِفُونَ عَلَى قَوْمٍ مُسْلِمِينَ أَلَّا تَبِيعُوهُمْ إِلَّا رِبْحَ الدِّينَارِ دِينَاراً ثُمَّ أَخَذَ أَحَدَ الْكِيسَيْنِ فَقَالَ: هَذَا رَأْسُ مَالِي ولَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرِّبْحِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُصَادِفُ مُجَالَدَةُ السُّيُوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ)[1]، فكان موقف الإمام عليه السلام في هذا المقام هو موقف الإسلام الذي يرفض الاستغلال في أيّ مجال من مجالات الحياة، ويحدّد عملياً إنسانية الإسلام في المعاملة ورفضه التجاوزات، سواءً في ذلك الاستغلال المالي أو الاستغلال العملي، وغير ذلك من وجوه الاستغلال البغيض، لأنّه تعبيرٌ آخر عن الخيانة والسرقة، بصورة قد يتراءى منها وكأنّها مشروعة.

اهتمامه عليه السلام بشؤون الأمة:

الإمام عليه السلام باعتباره المسؤول الأوّل بعد النبي صلى الله عليه وآله عن شؤون الأُمّة نجده يتفقّد الرعيّة بما يصلحها ويقوّم ما اعوجّ من أودها، وإبعاد الإمام عليه السلام عن مركز المسؤولية العامّة بسبب تأثير السياسات الظالمة، لا يقلّل من اهتمامه في هذا المجال، بحسب ما تسمح به الظروف السياسية والاجتماعية العامة، فعن أبي حنيفة سائق الحاجّ، قال: مرّ بنا المفضل أنا وختني(الخَتَن بفتحتين:كل من كان من قبل

(١) الكافي ج٥ ص١٦١ ح١.

المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت أو زوج الأخت) نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثمّ قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناه، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتّى إذا استوثق كلّ واحد منّا من صاحبه، قال: أما إنّها ليست من مالي، ولكنّ أبا عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله[1].

وهذه الحادثة على بساطتها تعطينا المثل الرائع على مدى شعور الإمام عليه السلام بالمسؤولية، واهتمامه بقضايا الأُمّة الحياتية، ودفع ما ربما يوجب الانقسام فيما بينها.

وفي مجال آخر من اهتمامات الإمام بالأمة، يحدّثنا معتب قال: **(قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام وَقَدْ تَزَيَّدَ السِّعْرُ بِالْمَدِينَةِ: كَمْ عِنْدَنَا مِنْ طَعَامٍ؟ قَالَ قُلْتُ: عِنْدَنَا مَا يَكْفِيكَ أَشْهُراً كَثِيرَةً، قَالَ: أَخْرِجْه وبِعْه، قَالَ قُلْتُ: لَه ولَيْسَ بِالْمَدِينَةِ طَعَامٌ، قَالَ: بِعْه، فَلَمَّا بِعْتُه قَالَ: اشْتَرِ مَعَ النَّاسِ يَوْماً بِيَوْمٍ، وقَالَ: يَا مُعَتِّبُ اجْعَلْ قُوتَ عِيَالِي نِصْفاً شَعِيراً ونِصْفاً حِنْطَةً، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي وَاجِدٌ أَنْ أُطْعِمَهُمُ الْحِنْطَةَ عَلَى وَجْهِهَا، ولَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَانِيَ اللهُ قَدْ أَحْسَنْتُ تَقْدِيرَ الْمَعِيشَةِ)**[2].

فالإمام عليه السلام لا يريد أن يكون في معزل عن واقع الناس بما يزخر

(١) الكافي ج٢ ص٢٠٩ ح٤.

(٢) الكافي ج٥ ص١٦٦ ح٢.

به من مشاكل وآلام، بل يريد لنفسه أن يكون واحداً منهم، فهو يشاركهم مسؤوليات الحياة بما تفرضه تقلّبات الأحوال وانعكاساتها على الصعيد العام، والمسؤولية التي تحمّلها الإمام هنا:

أولاً: بعرض ما توفّر لديه من الغلاّت في السوق، مشاركة منه بحلّ جزء ولو يسير من مشكلة فقدان المادة الأوّلية للعيش، وتوجيهاً عملياً للآخرين من أجل أن يقاوموا في أنفسهم عوامل الاحتكار والأثرة التي قد تتسبّب عنها كارثة اجتماعية واقتصادية عامة...

وثانياً: بمساواته لنفسه وعياله حياتياً مع الآخرين فيما يصيبهم من ضيق وعناء... وهذا أقصى ما يتمكّن به الإمام من مشاركة واهتمام في هذا المجال.

قضاؤه عليه السلام حوائج الناس:

عن الشقراني – من ولد شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله – قال: خرج العطاء أيام المنصور، وما لي شفيع، فوقفت على الباب متحيراً، وإذا بجعفر بن محمد عليهما السلام قد أقبل، فذكرت له حاجتي، فدخل وخرج، وإذا بعطائي في كمّه فناولني إيّاه وقال: **(إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحد قبيح، وإنه منك أقبح لمكانك منا)**[1]، وإنما قال الإمام له ذلك لأنه كان

(١) منتهى الآمال، ٢: ١٦٦.

يشرب الشراب، فمن مكارم أخلاق الإمام الصادق عليه السلام أنه قضى حاجته ووعظه على وجه التعريض.

الإمام عليه السلام يصل من قطعه:

١- تروي لنا سالمه وهي خادمة الإمام الصادق عليه السلام تقول: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام حِينَ حَضَرَتْه الْوَفَاةُ فَأُغْمِيَ عَلَيْه فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ عليه السلام: أَعْطُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وهُوَ الأَفْطَسُ سَبْعِينَ دِينَاراً، وأَعْطُوا فُلَاناً كَذَا وكَذَا وفُلَاناً كَذَا وكَذَا، فَقُلْتُ أَتُعْطِي رَجُلاً حَمَلَ عَلَيْكَ بِالشَّفْرَةِ [يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ]، فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكِ أَمَا تَقْرَئِينَ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ عليه السلام: أَمَا سَمِعْتِ قَوْلَ الله عَزَّ وجَلَّ ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ الله بِه أَنْ يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾[1].

فَقَالَ عليه السلام: أَتُرِيدِينَ أَنْ لَا أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ الله بِه أَنْ يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾ نَعَمْ يَا سَالِمَةُ إِنَّ الله خَلَقَ الْجَنَّةَ وطَيَّبَهَا وطَيَّبَ رِيحَهَا وإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفَيْ عَامٍ ولَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌّ ولَا قَاطِعُ رَحِمٍ)[2].

٢- روي أن الوليد بن صبيح قال: (كنا عند أبي عبد الله في ليلة إذ

(١) الرعد: ٢١.

(٢) الكافي ج٧ ص٥٥ ح١٠.

طرق الباب طارق، فقال عليه السلام للجارية: انظري من هذا ؟ فخرجت ثم دخلت فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي فقال عليه السلام: أدخليه، وقال لنا: ادخلوا البيت، فدخلنا بيتا.....، فلما دخل أقبل على أبي عبد الله عليه السلام فلم يدع شيئا من القبيح إلا قاله في أبي عبد الله عليه السلام، ثم خرج وخرجنا، فأقبل عليه السلام يحدّثنا من الموضع الذي قطع كلامه، فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننا أن أحداً يستقبل به أحداً، حتى لقد همَّ بعضنا أن يخرج إليه فيُوقع به، فقال عليه السلام: مه لا تدخلوا فيما بيننا.

فلما مضى من الليل ما مضى، طرق الباب طارق فقال عليه السلام للجارية: انظري من هذا؟ فخرجت ثم عادت، فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي، قال لنا عليه السلام: عودوا إلى مواضعكم، ثم أَذِن له فدخل بشهيق ونحيب وبكاء وهو يقول: يا ابن أخي اغفر لي غفر الله لك، اصفح عني صفح الله عنك، فقال عليه السلام: غفر الله لك يا عم، ما الذي أحوجك إلى هذا ؟ قال: إني لمّا أويت إلى فراشي أتاني رجلان أسودان فشدّا وثاقي ثم قال أحدهما للآخر: انطلق به إلى النار، فانطلق بي فمررت برسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله لا أعود، فأمره فخلّى عني، وإني لأجد ألم الوثاق، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أوصِ قال: بم أوصي مالي مال، وإن لي عيالا كثيرا، وعليّ دين، فقال أبو عبد الله عليه السلام: دينك عليّ وعيالك إلى عيالي فأوصى، فما خرجنا من المدينة

حتى مات، فضمّ أبو عبد الله عليه السلام عياله إليه، وقضى دينه، وزوج ابنه ابنته)[1]، في هذه القصة درس في سعة الصدر والتحمّل وعدم الارتجال في رد الفعل ومقابلة القوه بالقوة بل محاولة إصلاح قائل الكلام القبيح بالموعظة والعمل.

رضاه عليه السلام بالقضاء:

بعد أن كان الإمام أعرف الناس بالله وأقواهم بصيرةً به، فلا بدّ أن يكون أكثرهم تسليماً لأمره، فيرتضي ما به رضاه، ويحبّ ما أحبّه له، ويتجسّد لنا هذا التسليم الواقعي فيما يحدّثنا به الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ قُتَيْبَةَ الأَعْشَى قَالَ: (أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام أَعُودُ ابْناً لَه، فَوَجَدْتُه عَلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُهْتَمٌّ حَزِينٌ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ الصَّبِيُّ؟ فَقَالَ عليه السلام: والله إِنَّه لَمَا به -هذا كناية عن احتضاره وإشرافه على الموت- ثُمَّ دَخَلَ فَمَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وقَدْ أَسْفَرَ وَجْهُه وذَهَبَ التَّغَيُّرُ والْحُزْنُ، قَالَ: فَطَمِعْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَلَحَ الصَّبِيُّ فَقُلْتُ: كَيْفَ الصَّبِيُّ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: وقَدْ مَضَى لِسَبِيلِه، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَقَدْ كُنْتَ وهُوَ حَيٌّ مُهْتَمّاً حَزِيناً وقَدْ رَأَيْتُ حَالَكَ السَّاعَةَ وقَدْ مَاتَ غَيْرَ تِلْكَ الْحَالِ فَكَيْفَ هَذَا؟ فَقَالَ عليه السلام: إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا نَجْزَعُ قَبْلَ الْمُصِيبَةِ فَإِذَا وَقَعَ أَمْرُ الله

(١) بحار الأنوار ج٤٦ ص١٨٤ ح٥٠.

رَضِينَا بِقَضَائِه وسَلَّمْنَا لأَمْرِه)[1].

ويروى (أنه كان للأمام الصادق عليه السلام ابنٌ، فبينا هو يمشي بين يديه إذ غصّ فمات، فبكى وقال عليه السلام: «لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيت..» ثم حُمل إلى النساء، فلما رأينه صرخن، فأقسم عليهن أن لا يصرخن، فلما أخرجه للدفن قال عليه السلام: «سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلا حبّا»، فلما دفنه قال عليه السلام: «يا بني !.. وسّع الله في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيك..»، وقال عليه السلام: «إنّا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا، فإذا أحب ما نكره فيمن نحب رضينا)[2].

وعَنْ العَلَاءِ بْنِ كَامِلٍ قَالَ: (كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَصَرَخَتْ صَارِخَةٌ مِنَ الدَّارِ فَقَامَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام ثُمَّ جَلَسَ فَاسْتَرْجَعَ وعَادَ فِي حَدِيثِه حَتَّى فَرَغَ مِنْه ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ نُعَافَى فِي أَنْفُسِنَا وأَوْلَادِنَا وأَمْوَالِنَا فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُحِبَّ مَا لَمْ يُحِبَّ الله لَنَا)[3].

بهذه الكلمات الصافية... يحدّد لنا الإمام عليه السلام عمق الإيمان وأصالة المعرفة، اللذين يمثّلان الامتياز الفريد الذي يتميّز به الواقع

(١) الكافي ج٣ ص٢٢٥ ح١١.
(٢) الدعوات للراوندي ص ٢٨٦ ح ١٥
(٣) الكافي ج٣ ص٢٢٦ ح١٣.

الروحي للأئمة من أهل البيت عليهم السلام ...

ولا ينافي تسليمهم لأمر الله ما جرت عليه سيرتهم من إظهار الأسى والحزن بالنسبة لمأساة الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأنصاره في واقعة الطف بكربلاء وتأكيدهم على الآخرين بإحياء ذكرى تلك المأساة في كلّ سنة، إذ الباعث على ذلك لهم ليس هو ثقل المصاب فحسب، بل الحرص على إبقاء الهدف الذي من أجله استشهد الإمام الحسين عليه السلام والخيرة الطيّبة من أهل بيته وأنصاره، حيّاً في ضمير الأُمّة، تعيشه كرمز للرفض المستمرّ ضدّ الطغيان والاستبداد، والانتهاكات الظالمة، التي يمارسها الحاكمون الغرباء عن واقع الرسالة، والحاقدون عليها.

صبره عليه السلام:

ومن الصفات البارزة في الإمام عليه السلام الصبر وعدم الجزع على ما كان يلاقيه من عظيم المحن والخطوب، فكان الإمام الصادق عليه السلام ذا صبر منيع بالقوّة، وجَلَد يذوب معه عنف الشدّة، لا يجزع من أمر الله عندما ينزل به المصاب من فقد ولد أو أخ أو قريب، ولا يتململ ضجراً من ضائقة تحلّ به، بل يصبر على ذلك بروح يعمرها الشكر والرضا بما كتب الله وقضى به، ومن مظاهر صبره ما ينقله لنا ولده موسى بن جعفر عليهما السلام أنه نعي إلى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ابنه إسماعيل الذي كان ملأ العين في أدبه وعلمه وفضله، وهو

أكبر أولاده، وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه، فتبسم ثم دعا بطعامه، وقعد مع ندمائه، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام، ويحثّ ندماءه، ويضع بين أيديهم، ويعجبون منه أن لا يروا للحزن أثراً، فلما فرغ قالوا: يا ابن رسول الله لقد رأينا عجباً أصبت بمثل هذا الابن، وأنت كما نرى؟! قال: وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاءني خبر أصدق الصادقين أني ميّت وإياكم، إن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، ولم ينكروا من تخطفه الموت منهم وسلّموا لأمر خالقهم عز وجل[1].

الإمام عليه السلام يربي الناس على القناعة:

عنْ مِسْمَعِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام بِمِنى وبَيْنَ أَيْدِينَا عِنَبٌ نَأْكُلُه، فَجَاءَ سَائِلٌ فَسَأَلَه، فَأَمَرَ بِعُنْقُودٍ فَأَعْطَاه، فَقَالَ السَّائِلُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي هَذَا إِنْ كَانَ دِرْهَمٌ، قَالَ عليه السلام: يَسَعُ الله عَلَيْكَ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ رُدُّوا الْعُنْقُودَ، فَقَالَ عليه السلام يَسَعُ الله لَكَ ولَمْ يُعْطِه شَيْئاً، ثُمَّ جَاءَ سَائِلٌ آخَرُ فَأَخَذَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام ثَلَاثَ حَبَّاتِ عِنَبٍ فَنَاوَلَها إِيَّاه فَأَخَذَها السَّائِلُ مِنْ يَدِه ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي رَزَقَنِي، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: مَكَانَكَ فَحَشَا مِلْءَ كَفَّيْه عِنَباً فَنَاوَلَها إِيَّاه فَأَخَذَها السَّائِلُ مِنْ يَدِه ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٥ ح ١.

لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: مَكَانَكَ، يَا غُلَامُ: أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ؟ فَإِذَا مَعَه نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَماً فِيمَا حَزَرْنَاه أَوْ نَحْوِهَا، فَنَاوَلَهَا إِيَّاه فَأَخَذَهَا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ هَذَا مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: مَكَانَكَ، فَخَلَعَ قَمِيصاً كَانَ عَلَيْه فَقَالَ: الْبَسْ هَذَا فَلَبِسَه، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي وسَتَرَنِي يَا أَبَا عَبْدِ الله أَوْ قَالَ جَزَاكَ الله خَيْراً لَمْ يَدْعُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِلَّا بِذَا ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، قَالَ فَظَنَنَّا أَنَّه لَوْ لَمْ يَدْعُ لَه لَمْ يَزَلْ يُعْطِيه لأَنَّه كُلَّمَا كَانَ يُعْطِيه حَمِدَ الله أَعْطَاه)[1].

فمضى السائل وقد أكل عنبا ونال عنبا ونال مالا ولبس ثيابا عطرها جسم الإمام المعصوم عليه السلام كل ذلك لأنه رضي وقنع أول الأمر بثلاث حبات من العنب وحمد الله عليها، بينما الأول خسر كل ذلك وفاته هذا العطاء بسوء سريرته وطمعه، فالقناعة كنز مادي ومعنوي.

وفي هذا الحديث نلاحظ أن عطاء أهل البيت عليهم السلام وبذلهم يمتاز بارتباطه الوثيق بالله سبحانه، ورعاية جانب التقرّب إليه فيه، دون أن يشوبه من نوازع النفس الإنسانية ما هو غريب عن هذا الارتباط، فحين كان شعور السائل بالامتنان لله خالصاً فيما أولاه

(١) الكافي ج٤ ص٤٩ ح١٢

الإمام عليه السلام من إحسان، كان عطاء الإمام عليه السلام يتضاعف، ولكن عندما أبدى السائل امتنانه للإمام عليه السلام بدعائه له أخيراً، كف الإمام عليه السلام عن الإعطاء، حتى لا يستمر مدحه له، فيخرجه عن الخلوص لله، ويفتتن السائل بمدح غير الله وإن كان الإمام عليه السلام، فهنا نلاحظ رعاية ذلك الارتباط في العطاء من الإمام عليه السلام بصراحة.

علمه عليه السلام:

استثمر الإمام هو ووالده الإمام الباقر عليهما السلام فرصة الانفتاح السياسي الناتج عن ضعف الدولة الأموية وعدم بسط الدولة العباسية نفوذها فأسسا جامعة إسلامية كبيرة تتلمذ فيها على يدي الإمام الصادق عليه السلام ما يزيد على أربعة آلاف رجل من مختلف الأقطار الإسلامية ومن مختلف المذاهب والاتجاهات وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلامية ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة.

سعة علمه:

لقد شقق الإمام الصادق عليه السلام العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق، حتَّى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: **(سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي)** [1]، ولم يقل أحد

(١) المناقب ج ٢ ص ٢٨٠.

هذه الكلمة سوى جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأدلى عليه السلام بحديث أعرب فيه عن سعة علومه فقال: (والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن.....الخبر) [1].

وقد ذُكِر (أن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق عليه السلام فلما رفع عليه السلام يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك، فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له: ويلك إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] ويقول في موقع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[3]، فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتها قط من كتاب الله ولا سمعتها إلا هذا الوقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى قد قرأتها وسمعتها ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4] وقال: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

(١) أصول الكافي: ١ / ٢٢٩

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) التوبة: ٥٩.

(٤) محمد: ٢٤.

يَكْسِبُونَ ﴾[1])[2].

وصيته عليه السلام ببر الوالدين:

يروى أن شاباً نصرانياً اعتنق الإسلام فتوجه إلى الإمام الصادق عليه السلام.. ودخل عليه، فقال له الإمام عليه السلام: سل عما شئت يا بُني، فقال الشاب: يا سيدي إن أبي وأُمي وأهل بيتي على النصرانية، وأُمي مكفوفة وأنا أعيش معهم وآكل في آنيتهم، فقال الإمام عليه السلام: أيأكلون لحم الخنزير؟

فأجاب الشاب: كلاّ يا سيدي فنظر إليه الإمام عليه السلام نظرة الأب الرحيم قائلاً له: كُل معهم ولكن أُوصيك بأُمّك خيراً فلا تقصّر في برّها وخدمتها وتفرّد أنت بخدمتها.

كرّ الشاب عائداً ولكنه محمل في أعماقه روح الإسلام العظيم، فعامل أُمه كما أوصاه سيده الإمام عليه السلام فرأت أُمه أخلاقاً حسنة وأحّست بالفرق، رفعت رأسها إليه قائلة: بُني إنك تصنع بي هذه الخدمة مذ دخلت الحنيفية ولم تكن تصنعه وأنت على النصرانية؟!

نظر الابن إليها بعطف عندما حس ببارقة الأمل تشع من عينيها قائلاً.. أماه أمرني بهذا رجل من ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله، فقالت أُمه: أهو نبي يا بني؟

---

(١) المطففين: ١٤.

(٢) بحار الأنوار ج٤٧ ص٢٤٠ ح٢٥.

قال: لا يا أُمي.. ولكنه ابن نبي أردفت الأُم قائلة: دينك يا بني خير الأديان علّمنيه إذاً.

فقام الشاب بإعطاء صورة عن الإسلام العظيم وما يحمل من أفكار تهدف إلى تنظيم الحياة في جميع مجالاتها.. عندها تيقنت عظمة الدين وأسلمت..وقام بتعليمها الصلاة.. التي هي عمود الدين، نعم فأهل البيت عليهم السلام يريدون منا التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة والتي هي أخلاق النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام وأن نكون دعاة لهم بغير ألسنتنا.

كرمه وسخاؤه عليه السلام :

الكرم والسخاء ليسا بأمرين غريبين عن الواقع النفسي لأهل البيت عليهم السلام، بل هما أمران أصيلان يمتدّان عبر الجذور العميقة لتأريخهم، وقد عُرف الكرم الهاشمي بالطيبة والعفوية، البعيدة عن عوامل التكلّف والامتنان، ويمتاز عطاؤهم وبذلهم بأنه خالص لوجه الله تعالى ولا يريدون عليه جزاءً ولا شكوراً، ومن صور كرمه وسخائه الفريدة ما ذكره يونس عن بعضهم: (**أنه كانت للإمام عليه السلام ضيعة قرب المدينة تسمى (عين زياد) فيها نخل كثير فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانهم الثلم ليدخل الناس ويأكلوا التمر وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدرون على المجيء كالشيخ والعجوز والمريض لكل واحد منهم بمُد من التمر، فَإِذَا كَانَ الْجُذَاذُ**

يعطي الْقُوَّامَ والْوُكَلاءَ والرِّجَالَ أُجْرَتَهُمْ ويَحْمِلُ الْبَاقِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ فيفرق أكثره على الضعفاء والمستحقين ويبقى للإمام بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ وكَانَ غَلَّتُهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ)[1].

أخلاقه عليه السلام مع ضيوفه:

كان مولانا الصادق عليه السلام إذا بسط المائدة حثّ أصحابه على الأكل ورغّبهم فيه، ولربّما يأتيهم بالشيء بعد الشبع، فيعتذرون فيقول عليه السلام: **(ما صنعتم شيئاً إن أشدّكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا)**، ثمّ يروي لهم عن النبي صلى الله عليه وآله أمثال ذلك لتطيب نفوسهم بالأكل وترغب بالزيادة، ويروي لهم هذا القول، أعني **(أشدّكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا)** عن النبي صلى الله عليه وآله مع سلمان والمقداد وأبي ذر[2]، وقد يجيء بالقصعة من الأرز بعد انتهائهم من الأكل، فإذا امتنع أحدهم من الأكل قال له: **(يعتبر حبّ الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه)**، ثمّ يحوز له حوزاً ويحمله على أكله، وإذا رآهم يقصّرون في الأكل خجلاً قال لهم: **(تستبين مودَّة الرجل لأخيه في أكله)**[3].

وكان إذا أطعم أصحابه يأتيهم بأجود الطعام، قال بعضهم: كان

(١) الكافي ج٣ ص٥٦٩ ح٢
(٢) الكافي ج٦ ص٢٧٨ ح٥.
(٣) الكافي ج٦ ص٢٧٩ ح٤٧.

أبو عبد الله عليه السلام ربّما أطعمنا الفراني[1] والأخبصة[2]، ثمّ أطعمنا الخبز والزيت فقيل له: لو دبّرت أمرك حتّى يعتدل يوماك، فقال: **(إنما نتدبّر بأمر الله إذا وسّع وسّعنا وإذا قتّر قتّرنا)**[3].

وقال أبو حمزة: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام في جماعة فأتانا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً، وأُتينا بتمر ننظر فيه وجوهنا من صفائه وحسنه[4]، وكان مع ذلك الشأن والسنّ يمنع ضيفه من القيام لبعض الحوائج فإن لم يجد أحداً قام هو بنفسه، ويقول: **(نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن يستخدم الضيف)**[5].

ولرغبته في بقاء الضيف عنده كان لا يساعده على الرحيل عنه، كما صنع ذلك مع قوم من جهينة، فإنه أمر غلمانه ألا يعينوهم على الرحلة، فقالوا له: يا ابن رسول الله لقد أضفت فأحسنت الضيافة، وأعطيت فأجزلت العطيّة، ثمّ أمرت غلمانك ألا يعينونا على الرحلة، فقال عليه السلام: **(إنّا أهل بيت لا نعين أضيافنا على الرحلة من عندنا)**[6].

---

(١) الفراني: جمع فرنية، وهو نوع من الخبز يُعمل باللبن والسمن والسكر (لسان العرب ١٣ : ٣٢٢)

(٢) الاخبصة: جمع خبيص، وهو طعام يُعمل من التمر والسمن (القاموس المحيط ٢ : ٣٠٠)

(٣) وسائل الشيعة ج٢٤ ص٢٩٦ ح٢

(٤) الكافي ج٦ ص٢٨٣ ح٤٨.

(٥) الكافي ج٦ ص٣٢٨ ح٤٩.

(٦) الأمالي للشيخ الصدوق ص٦٣٨ ح٨٥٩.

أخلاقه عليه السلام مع أهل مجلسه :

روي أنه كان يجلس للعامة والخاصة، ويأتيه الناس من الأقطار يسألونه عن الحلال والحرام، وعن تأويل القرآن وفصل الخطاب، فلا يخرج أحد منهم إلاّ راضياً بالجواب[1].

وروي عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: (**كنت جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياما، ثم إني جئت إليه فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله لك فيه فما سميته؟ قلت: سميته محمداً، فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: محمد محمد محمد، حتى كاد يلصق خده بالأرض، ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعا الفداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا تسبّه ولا تضربه ولا تسيئ إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم**)[2].

مجلسه عليه السلام أنبل المجالس :

عن رجل من العامة قال: كنت أجالس أبا عبد الله عليه السلام فلا والله ما رأيت مجلسا أنبل من مجالسه قال: (**فقال لي ذات يوم: من أين تخرج العطسة ؟ فقلت: من الأنف فقال لي: أصبت الخطاء فقلت:**

(١) منتهى الآمال، ٢ : ١٦٤.

(٢) فروع الكافي ٢: ٩٢.

جعلت فداك، من أين تخرج ؟ فقال: من جميع البدن، كما أن النطفة تخرج من جميع البدن، ومخرجها من الإحليل ثم قال: أما رأيت الإنسان إذا عطس نفض أعضاؤه، وصاحب العطسة يؤمن الموت سبعة أيام)[1].

عبادته عليه السلام :

كان الإمام عليه السلام أعبد أهل زمانه، لأنّ عبادته عليه السلام مقترنة بالمعرفة الصادقة، وكلّما ازدادت المعرفة بالله سبحانه وتعالى ازداد العمق العبادي لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[2]، لذلك تتجلّى في عبادته عليه السلام أعمق معاني الخشوع وأروعها، حتى أقرّ من لم يعتقد بإمامته بأنه سلام الله عليه من أكابر العبّاد الذين يخشون الله عزّ وجل، حيث يقول مالك بن أنس:...كان عليه السلام رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء العبّاد، وأكابر الزهّاد الذين يخشون الله عز وجل[3].

وقال أيضا: ما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خَطَرَ على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق علماً وعبادة[4].

(١) الكافي ج٦ ص٦٥٧.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣)أمالي الصدوق ص١٦٩.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج٤ ص٢٤٨.

وقال ابن طلحة في مطالب السؤول: ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، يقسّم أوقاته على أنواع الطاعات.

وعن أبان بن تغلب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو يصلي، فعددت له في الركوع والسجود ستين تسبيحه[1].

وعن حفص بن غياث، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلّل بساتين الكوفة، فانتهى إلى نخلة فتوضّأ عندها، ثمّ ركع وسجد، فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحه، ثمّ استند إلى النخلة فدعا بدعوات.

وقد روي: **(أن مولانا الصادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلاته، فغشي عليه فلما أفاق سئل: ما الذي أوجب ما انتهت حاله إليه؟ فقال ما معناه: ما زلت أكرر آيات القرآن حتى بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها)**[2].

وقد أخلص في طاعته وعبادته لله كأعظم ما يكون الإخلاص، وإليك صورة موجزة عن عباداته:

أ ـ صلاته عليه السلام: إن الصلاة من أفضل العبادات وأهمها في الإسلام، وقد أشاد بها الإمام الصادق عليه السلام في كثير من أحاديثه:

قائلاً عليه السلام: **(ما تقرب العبد إلى الله بعد المعرفة أفضل من**

(١) الكافي ج١ ص٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج٤٧ ص٥٨ ح١٠٨.

الصلاة)[1].

وقال عليه السلام: (الصلاة قربان كل تقي)[2].

وقال عليه السلام: (أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف الله عليه وهو راكع أو ساجد إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا وعصيت، وسجدوا وأبيت)[3].

وقال أبو بصير: (دخلت على أم حميدة أعزّيها بأبي عبد الله الصادق عليه السلام، فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة. قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه. قالت: فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة)[4].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام لم يدع نافلة من نوافل الصلاة إلاّ أتى بها بخشوع وإقبال نحو الله تعالى، وكان عليه السلام إذا أراد التوجه إلى الصلاة اصْفَرَّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبة

(١) مجموعة ورام: ٢/ ٨٦.

(٢) جمهور الأولياء: ٢/ ٧٨.

(٣) وسائل الشيعة: ٣/ ٢٦.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق ص٥٧٢ ح٧٧٩.

وخشية منه، وقد أثرت عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجهه إلى الصلاة وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته[1]..

ب ـ صومه عليه السلام: إنّ الصوم من العبادات المهمة في الإسلام، وذلك لما يترتب عليه من الفوائد الاجتماعية والصحية والأخلاقية، **(وهو جُنّة من النار)** ـ كما قال الإمام الصادق عليه السلام ـ[2]، وقد حث الإمام الصادق عليه السلام الصائم على التحلي بالأخلاق والآداب التالية، قال عليه السلام: **(وإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك من القبيح والحرام، ودع المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء..)**[3].

وكان عليه السلام صائماً في أغلب أيامه تقرباً إلى الله تعالى، أما شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، وقد أثرت عنه بعض الأدعية المهمة عند رؤيته لهلاله، كما أثرت عنه بعض الأدعية في سائر أيامه وفي ليالي القدر المباركة وفي يوم عيد الأضحى الأغرّ[4].

ج ـ حجه عليه السلام: أما الحج فهو بالإضافة إلى قدسيته فإنه من أهم المؤتمرات السياسية التي تعقد في العالم الإسلامي، حيث تعرض

(١) راجع الصحيفة الصادقية.
(٢) وسائل الشيعة: ٣ / ٢٩٠.
(٣) مجموعة ورام: ٢/ ٨٥.
(٤) راجع الصحيفة الصادقية.

فيه أهم المشاكل التي تواجه المسلمين سواء أكانت من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية أو المشاكل السياسية الداخلية والخارجية، مضافاً إلى أنه من أهم الروابط التي يعرف بها المسلمون بعضهم بعضاً.

وقد حج الإمام الصادق عليه السلام مرات متعددة والتقى بكثير من الحجاج المسلمين، وقد كان المعلم والمرشد لهم على مسائل الحج، فقد جهد هو وأبوه الإمام محمد الباقر عليهما السلام على بيان أحكام الحج بشكل تفصيلي، وعنهما أخذ الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة، ولولاهما لما عرفت مسائل الحج وأحكامه.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يؤدي بخضوع وخشوع مراسيم الحج من الطواف، والوقوف في عرفات ومنى، وقد روى بكر بن محمد الأزدي فقال: خرجت أطوف، وإلى جنبي الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام حتَّى فرغ من طوافه ثم مال فصلى ركعتين بين ركن البيت والحجر، وسمعته يقول في أثناء سجوده: **(سَجَدَ وَجْهِي لَكَ تَعبّداً وَرِقّاً، لا إلهَ إلاّ أنْتَ حَقّاً حَقّاً، الأوّل قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيءٍ، وَهَا أنَا ذا بَيْنَ يَدَيْكَ، ناصِيَتي بِيَدَيْكَ فَاغْفِرْ لِي إنَّه لا يَغْفِرُ الذَّنْبَ العَظِيمَ غَيْرُكَ، فَاغْفِرْ لِي، فَإنِّي مُقرٌّ بِذُنُوبي عَلى نَفْسِي، وَلا يدفَعُ الذَّنْبَ العَظيمَ غيرُكَ)**..ثم رفع رأسه الشريف، ووجهه

كأنما غُمّس في الماء من كثرة البكاء[1].

يقول مالك بن أنس: (...حججت معه -أي: الامام الصادق عليه السلام- سنة فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلّما همّ بالتلبية [تلجلج و] انقطع الصوت في حلقه وكاد أن يخرّ من راحلته)[2].

وكان عليه السلام إذا خرج من الكعبة المقدسة يقول: **(الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللّهمّ لا تجْهدْ بَلاءنا، ولا تُشمِت بِنا أعداءنا، فإنّكَ أنْتَ الضّارُّ النّافع)**[3].

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحج، فقد روي أنّ سفيان الثوري قال: **(والله رأيت جعفر بن محمّد عليه السلام ولم أر حاجّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرُّع والابتهال منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدعاء في الموقف)**[4].

طريقته عليه السلام في إرشاد العاصين:

عنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (كَانَ لِي جَارٌ يَتَّبِعُ السُّلْطَانَ فَأَصَابَ مَالاً فَأَعَدَّ

(١) قرب الإسناد: ٢٨.
(٢) الخصال ج١ ص٧٧.
(٣) قرب الإسناد: ٣.
(٤) كشف اليقين ص٣٣٠.

قِيَاناً[1] وكَانَ يَجْمَعُ الجَمِيعَ إِلَيْه ويَشْرَبُ المُسْكِرَ ويُؤْذِينِي فَشَكَوْتُه إِلَى نَفْسِه غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَنْتَه فَلَمَّا أَنْ أَلْحَحْتُ عَلَيْه، فَقَالَ لِي: يَا هَذَا أَنَا رَجُلٌ مُبْتَلًى وأَنْتَ رَجُلٌ مُعَافًى، فَلَوْ عَرَضْتَنِي لِصَاحِبِكَ رَجَوْتُ أَنْ يُنْقِذَنِيَ الله بِكَ، فَوَقَعَ ذَلِكَ لَه فِي قَلْبِي، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام ذَكَرْتُ لَه حَالَه فَقَالَ لِي: إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ سَيَأْتِيكَ، فَقُلْ لَه: يَقُولُ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: دَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْه وأَضْمَن لَكَ عَلَى الله الْجَنَّةَ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَانِي فِيمَنْ أَتَى فَاحْتَبَسْتُه عِنْدِي حَتَّى خَلَا مَنْزِلِي ثُمَّ قُلْتُ لَه: يَا هَذَا إِنِّي ذَكَرْتُكَ لأَبِي عَبْدِ الله جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام فَقَالَ لِي إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ سَيَأْتِيكَ فَقُلْ لَه، يَقُولُ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: دَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْه وأَضْمَن لَكَ عَلَى الله الْجَنَّةَ، قَالَ: فَبَكَى ثُمَّ قَالَ لِي: الله لَقَدْ قَالَ لَكَ أَبُو عَبْدِ الله هَذَا، قَالَ: فَحَلَفْتُ لَه أَنَّه قَدْ قَالَ لِي مَا قُلْتُ، فَقَالَ لِي: حَسْبُكَ ومَضَى، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَعَثَ إِلَيَّ فَدَعَانِي وإِذَا هُوَ خَلْفَ دَارِه عُرْيَانٌ فَقَالَ لِي يَا أَبَا بَصِيرٍ لَا والله مَا بَقِيَ فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ إِلَّا وقَدْ أَخْرَجْتُه وأَنَا كَمَا تَرَى، قَالَ: فَمَضَيْتُ إِلَى إِخْوَانِنَا فَجَمَعْتُ لَه مَا كَسَوْتُه بِه ثُمَّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْه أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى بَعَثَ إِلَيَّ أَنِّي عَلِيلٌ فَاتِنِي، فَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْه وأُعَالِجُه حَتَّى نَزَلَ بِه الْمَوْتُ فَكُنْتُ عِنْدَه جَالِساً وهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِه

(١) القيان – جمع قينة – الإماء المغنّيات

فَغُشِيَ عَلَيْه غَشْيَةً ثُمَّ أَفاقَ فَقالَ لِي: يَا أَبَا بَصِيرٍ قَدْ وَفَى صَاحِبُكَ لَنَا، ثُمَّ قُبِضَ رَحْمَةُ الله عَلَيْه، فَلَمَّا حَجَجْتُ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهعليه السلام فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْه فَلَمَّا دَخَلْتُ قَالَ لِيَ ابْتِدَاءً مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ وإِحْدَى رِجْلَيَّ فِي الصَّحْنِ والأُخْرَى فِي دِهْلِيزِ دَارِه يَا أَبَا بَصِيرٍ قَدْ وَفَيْنَا لِصَاحِبِكَ)[1].

حقيقة الزهد:

عن حماد بن عثمان قال: (**حضرت أبا عبد الله وقال له رجل: أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالبعليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد، فقال له: إن علي بن أبي طالبعليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر[عليه]ولو لبس مثل ذلك اليوم شهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله، غير أن قائمنا أهل البيتعليهم السلام إذا قام لبس ثياب عليعليه السلام وسار بسيرة عليعليه السلام**)[2].

والذي نلحظه في هذا الحديث: أنّ الإمامعليه السلام يؤكّد على ضرورة الانسجام مع الواقع الحياتي الذي يعيش فيه الإنسان، فليس للإسلام سلوكٌ معيّن فيما يرجع لمظهر الإنسان في الخارج، سوى ما نَبّه عليه الإمام في حديثه، وهو الانسجام مع مظهر العصر الذي

(١) الكافي ج١ ص٤٥٤ ح٥.
(٢) الكافي ج١ ص٤١١ ح٤.

يعيش فيه.

وقد كانت هذه النظرة الواقعية الواعية للإمام إزاء المظهر، مثار اعتراض ونقد بعض المتصوّفة في عصره، الذين وجدوا في مرونة الإمام الصادق عليه السلام وانفتاحه في هذا المجال، ما يفقد مظهرهم وزهدهم المتزمّت وقيمته المثالية، وامتيازهم الاجتماعي، بعد أن كان الإمام في موقعه من الأُمّة يمثّل القمّة في الواجهة الرسالية السليمة من كلّ شائبة انحراف أو تزييف في عرض المفاهيم وتطبيقها.

وما رواه الكليني أيضاً، أنّ سفيان الثوري دخل على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياباً بيضاء كأنّها غرقئ البيض (الغرقئ كزبرج قشر البيض الرقيق تحت القشر الأعلى وتشبيهها بغرقئ البيض باعتبار رقتها)، فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك.

فقال له الإمام عليه السلام: **(اسمع منّي وعِ ما أقول: فإنّه خير لك عاجلاً وآجلاً، إن أنت مُتَّ على السنّة ولم تمت على بدعة، أُخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مُقفِر مُجدِب، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقّ الناس بها أبرارها لا فُجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثوري، فو الله إنّي ما ترى، ما أتى عليّ منذ عقلت صباحاً ولا مساء ولله في مالي حقّ، أمرني أن أضعه موضعاً**

إلاّ وضعته)[1].

أوضح الإمام في حديثه مع سفيان الثوري، أنّ الزهد ليس مظهراً رخيصاً يتلبّس به الإنسان وابتعاداً عن المعطيات الطيّبة مما أنعم الله عليه به، وإنّما هو انفصال نفسي عن عوامل الفتنة، وأسباب التعلّق بالدنيا.

كما إنّ لكلّ زمان معطياته، ففي زمان النبي ﷺ عندما لم تكن الحياة في سعة، وكان الناس لا يزالون يعيشون خشونة البداوة وشظف العيش لقلّة الناتج وضيق ذات اليد، كانت البساطة في المظهر والشكل، هي الطابع العامّ الذي يغلب على الحياة العامة، أمّا في زمان الإمام الصادق عليه السلام حيث انتقلت حياة الناس إلى وضع جديد من السعة والوجدان، فعلى الإنسان أن يتكيّف بالطابع السلوكي العام، في حدود ما يكون فيه رضا الله سبحانه وتعالى، ولا ينفرد بمظهر متميّز يفصله عن الآخرين ممّا يكون مظنّة للرياء ومنطلقاً للشهرة - فليس الزاهد أن لا يملك شيء، بل الزاهد أن لا يملكه شيء -.

ويعطينا الإمام الصادق عليه السلام في موقف آخر له مع سفيان الثوري، صورة معبّرة عن واقعية الزهد التي لا تصطدم مع إرادة التمتّع

(١) أعيان الشيعة ج١ ص٦٦٠.

بطيب الحياة ومعطياتها الخيّرة، فعن سفيان قال: (**دخلت على الإمام الصادق عليه السلام وكان عليه جبّة خز دكناء، فجعلت أنظر إليها متعجّباً، فقال لي: يا ثوري، ما لك تنظر إلينا، لعلّك ممّا رأيت؟**

فقلت: يا ابن رسول الله، هذا ليس من لباسك ولا لباس آبائك.

فقال لي: يا ثوري، كان ذلك الزمان مقفراً مقتراً... ثمّ حسر عن ردن جبّته، وإذا تحتها جبّة صوف بيضاء، وقال: يا ثوري، لبسنا هذا لله - وأشار إلى جبّة الصوف - وهذا لكم - وأشار إلى الخزّ - فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه)[1].

فهذا المظهر الأنيق من الإمام، الذي تُحدّثنا به الروايات، لا يتنافى مع سلوك الزهد والتقشّف، فهو حين يظهر بالمظهر المتجمّل في لباسه، والذي ينسجم مع المستوى الحياتي لعصره، يريد أن يبتعد عن فتنة الرياء، كما صرّح به الإمام عليه السلام، وأشار إليه في حديثه مع سفيان، ولكنّه في نفس الوقت لا يعطي لنفسه حقّ التمتّع بنعومة اللباس وليونته، التي تترك في واقع النفس أثراً مادياً، يشوّش بها الصفاء الروحي، الذي يقترب به الإنسان من ربّه، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ كَثِيرٍ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِيه قَالَ: (**رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام وعَلَيْه قَمِيصٌ غَلِيظٌ خَشِنٌ تَحْتَ ثِيَابِه وفَوْقَهَا جُبَّةُ صُوفٍ وفَوْقَهَا قَمِيصٌ**

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، أسد حيدر، م٢ ص٣٠٢.

غَلِيظٌ فَمَسَسْتُهَا فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ النَّاسَ يَكْرَهُونَ لِبَاسَ الصُّوفِ فَقَالَ عليه السلام: كَلَّا كَانَ أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام يَلْبَسُهَا وكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَلْبَسُهَا وكَانُوا عليهم السلام يَلْبَسُونَ أَغْلَظَ ثِيَابِهِمْ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ ونَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ)[1].

فالإمام عليه السلام بمظهره المتجمّل يريد أن يكون منسجماً مع مظهر أهل عصره حياتياً، وفيما يستر وراء ذلك المظهر من اللباس الخشن، يريد أن يكون منسجماً مع واقع نفسه البعيد عن مفاتن الحياة ومباهجها ومتعها، التي هي الواجهة الأُخرى التي تقابل الزهد والتقشّف في الحياة، أمّا حين يقف بين يدي ربّه ليؤدّي واجب العبودية الحقّة، فإنّه يرفض ذلك المظهر المتجمّل، ويتجرّد بواقعية وصفاء عن كلّ ما له تعلّق بشؤون هذه الحياة الزائفة، وهذا موقف مَن عرف الله حقّ معرفته ودان له بالعبودية كما هو أهله.

وقد أعطى الإمام عليه السلام بسلوكه المنفتح... رؤيا واضحة عن مرونة الإسلام، ومراعاته لمزاج التطوّر، فيما يرجع لبناء الحياة العامّة عندما لا تصطدم مؤثّرات التطوّر بالجانب التكليفي أو الأخلاقي من التشريع.

فليس الزهد عند الإمام عليه السلام مظهر الحرمان وشظف العيش،

(١) الكافي ج٦ ص٤٥٠ ح٤.

وإنّما هو غنى النفس بالإيمان، وابتعادها عن التعلّق بالدنيا ومفاتنها، بنحو لا تمثّل الدنيا وما اشتملت عليه من مفاتن ومتع، هدفاً أصيلا يسعى إليه الإنسان في حياته، فإن هي أقبلت فنعمة تستحقّ الشكر، وإن هي أدبرت فما عند الله خيرٌ وأبقى.

وقد دعا الإمام عليه السلام إلى ضرورة إظهار النعمة والتجمّل بها، وإنّ الله ما بسط النعم على عباده إلاّ من أجل أن يكرمهم بها، وإهمال النعمة رفض لذلك الإكرام، فقد روى الكليني عنه عليه السلام أنّه قال: (**إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهَا عَلَيْهِ لأَنَّه جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**)[1]. وأيضا عنه عليه السلام: (**إن الله يحب الجمال والتجمّل، ويبغض البؤس والتباؤس، فإن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك ؟ قال: ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويجصّص داره، ويكنس أفنيته حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق**)[2].

شجاعته عليه السلام :

الشجاعة إحدى السمات الأصيلة المميّزة لرجالات بني هاشم عامة وأهل البيت عليهم السلام خاصة، التي عُرفوا بها وعرفتها لهم المواقف الجريئة في مختلف مواطن الحرب والسلم، والإمام الصادق عليه السلام لم يمارس حرباً ولا قتالاً في جميع فترات حياته، لأنّه عاش في عزلة عن الحكم وبُعداً عن المعترك السياسي العام، ولكن مظهر شجاعته كان

(١) الكافي ج٦ ص٤٣٨ ح٤.

(٢) وسائل الشيعة ج٥ ص٧ ح٩.

حاصلا في تلك المواقف الصامدة التي واجه بها الطاغية المنصور الدوانيقي وولاته، متحدياً فيها ما كانوا يمارسون من جبروت وطغيان وتجاوزات ظالمة على كرامة الأفراد والجماعات، عندما تكون هناك ضرورة رسالية للتحدّي والمواجهة، ويكفي في مظهر شجاعته ذلك الموقف الرسالي السلبي المستمرّ الذي اتّخذه من الحكم.

ومن مواقفه الشجاعة ما ينقله لنا أحمد بن المقدام الرازي حيث يقول: **(وقع الذباب على المنصور فذبّه عنه فعاد فذبّه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الذباب؟ قال: ليذلّ به الجبابرة)**[1]، فهذه الإجابة في هذا اللقاء أكبر دليل على ما كان يتحلّى به من شجاعة أمام أهل الطغيان والجبروت.

المصادر:

١- موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري
٢- قادتنا كيف نعرفهم، السيد محمد هادي الميلاني
٣- المناقب، ابن شهر آشوب
٤- شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي
٥- الدعوات، قطب الدين الراوندي
٦- الخصال، الشيخ الصدوق
٧- الأمالي، الشيخ الصدوق
٨- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق
٩- الكافي، الشيخ الكليني
١٠- بحار الأنوار، العلامة المجلسي
١١- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ومصادر كثيرة أخرى.

(١) المناقب ج٣ ص٣٧٥.

الفهرس

مقدمة ٣
أخلاقه عليه السلام مع عبيده وخدمه ٦
أخلاقه عليه السلام مع الفقراء وصدقاته في السر ٧
أخلاقه عليه السلام مع من أساء إليه ١٠
تواضعه عليه السلام ١٢
تعامله عليه السلام مع العمّال ١٤
الإمام عليه السلام وطلب المعيشة ١٤
اهتمامه عليه السلام بشؤون الأمة ١٧
قضاؤه عليه السلام حوائج الناس ١٩
الإمام عليه السلام يصل من قطعه ٢٠
رضاه عليه السلام بالقضاء ٢٢
صبره عليه السلام ٢٤
الإمام عليه السلام يربي الناس على القناعة ٢٥
علمه عليه السلام ٢٧
سعة علمه ٢٧
وصيته عليه السلام ببر الوالدين ٢٩
كرمه وسخاؤه عليه السلام ٣٠
أخلاقه عليه السلام مع ضيوفه ٣١
أخلاقه عليه السلام مع أهل مجلسه ٣٣
مجلسه عليه السلام أنبل المجالس ٣٣
عبادته عليه السلام ٣٤
طريقته عليه السلام في إرشاد العاصين ٣٩
حقيقة الزهد ٤١
شجاعته عليه السلام ٤٦
المصادر ٤٧

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186